رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 61- سورة سبأ | من الأية 15 إلى 45

عبدالرحمن العجلان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولو ترى اذ فزعوا فلا فوته اخذوا من مكان قريب وقالوا امنا به وانا لهم التناوش من مكان بعيد - 00:00:01

وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد. ويقذفونه بالغيب مما كان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشجاعهم هذه الايات الكريمة خاتمة سورة سبأ وقبل هذه الايات - 00:00:40

جاء امر الله جل وعلا بمخاطبة الكفار والزامهم ان الحجة تلزمهم في افراد الله جل وعلا بالعبادة وقال الله جل وعلا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا - 00:01:22

فلا تردوا ما اقوله لكم من اول وهلة حينما يلقى على اسماعكم تردونه بدون تأمل ولا تدبر وانتم في ردكم هذا لا تستندون الى حجة ولم يسبق ان جاءكم كتاب - 00:02:01

ولم يسبق ان ارسل اليكم رسول من اجل ان تقولوا ان في كتابنا كذا. او ان رسولنا قال لنا كذا عليكم اذا جاءكم الحق ان تتأملوا فيه وتتفكروا فيه ثم يكون الرد بعد ذلك - 00:02:27

لانهم هم مباشرة بعدما القى اليهم النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة الى توحيد الله جل وعلا في العبادة وفي قوله عليه الصلاة والسلام لهم اريد منكم ان تقولوا لا اله الا الله - 00:02:50

قال له عمه اقرب الناس اليه ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا وكان الاجدر بالعقلاء ان يقولوا نتأمل ما تقول وننظر فيما تقول ان كان صوابا قبلناه وان كان باطلا رددناه - 00:03:14

لكنهم من اول وهلة يردون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكر ما بصاحبكم من جنة هذا الكلام الذي ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم - 00:03:39

وينسبه الى ربه جل وعلا ما يصدر من مجنون بل ولا يصدر من اعقل الناس لانهم لا ان يقولوه ولا يستطيعون. لانه كلام الله جل وعلا يظهر العقول ويأتي من امور غيبية لا يعلمها الا الله جل وعلا - 00:04:04

ثم بين لهم انه عليه الصلاة والسلام لا يريد منهم شيئا من حطام الدنيا اطلاقا وان سألهم على سبيل الفرظ ان سألهم شيء فهو لهم لا يريد منهم شيء ثم بين الله جل وعلا ان الحق اذا جاء اذ محل الباطل. وانه لا قرار للباطل مع الحق - 00:04:30

وهذا اشعار لهم بان ما هم عليه سيظمحل لا محالة وانما عليهم ان يتمسكوا بالحق الذي يبقى ثم بين لهم جل وعلا ان انه في حال ظلاله فظلاله على نفسه لا يظيرهم - 00:04:56

وفي حال هدايته فذلك من الله جل وعلا. وهو يستند الى ما يقول الله جل وعلا. فهو اقرب الى الهداية من الضلالة. صلوات الله وسلامه عليه. بل ما يقوله كله حق - 00:05:18

لا ضلالة فيه ابدا لانه الى الله جل وعلا وينسبه الى الله جل وعلا. وهم يعترفون بوجود الله جل وعلا ثم قال جل وعلا بعد ما قيل لهم ووضح لهم - 00:05:35

فلم يستفيدوا ولم يقبلوا قال الله جل وعلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولكل من تتأتى منه الرؤية يعني ان كان عنده استعداد للتأمل

والنظر قال ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا - 00:05:56
من مكان قريب لو ترى حالة اخذهم حالة فزعهم تلك الحالة لرأيت امرا فظيعا امهلهم وسيحصل هذا ولو ترى يا محمد الفزع فزعوا من ماذا قال الله جل وعلا فزعوا - 00:06:19
وقال المفسرون رحمهم الله فزعوا عندما عندما اقبلت اليهم سيوف الملائكة لا يستطيعون التوبة ولا يقبل منهم طلب الامهال فزعوا بما لا بسيوف الملائكة يوم بدر قتل من صناديدهم سبعون بسيوف الملائكة - 00:06:53
كما قال الله جل وعلا وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فلا فوت ولو ترى اذ فزعوا فزعوا بسيوف الملائكة قول يوم بدأ فزعوا عند البعث من القبور فزعوا - 00:07:22
عند خروجهم من القبور وتوجههم الى ساحة العرض على الله جل وعلا فزعوا حينما يشاهدون جهنم بين ايديهم قريبة وانهم سيرمون فيها فلا فوت والله جل وعلا قال ولو ترى اذ فزعوا فالفزع لا بد وان يحصل منهم وفي كل هذه الاحوال يحصل الفزع - 00:07:44
ولو ترى اذ فزعوا قال بعض المفسرين هذه الاية في ثمانين الف جيش يغزو الكعبة لهدمها في اخر الزمان فاذا كانوا في بيداء من الارض كشف الله بهم فلم ينجوا منهم الا واحد. من اجل ان يخبر - 00:08:21
ويذهب الى قومه فيخبرهم فيفزعون فلا يستفيدون من هذا الفزع فلا فوت لا يفوتون الله جل وعلا الجيشان اذا التقيا في الدنيا يقتل من يقتل ويهرب من يهرب وينجو من ينجو - 00:08:46
هذا في حال الدنيا لكن في يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا او عند الموت او عند البعث من القبور هل يستطيع احد ان يفلت من يد الله جل وعلا؟ لا والله - 00:09:14
فلا فوت لا يفوت احد من يد الله جل وعلا. فهم بين يديه وفي قبضته القريب والبعيد سواء الواقف والسائر سوا الهارب والمنتظر سواء عند الله جل وعلا. لا يستطيع احد ان يهرب - 00:09:34
ولا ان ينجوا ولا ان يسلم من عذاب الله جل وعلا فلا فوت واخذوا من مكان قريب اخذوا للقتل اذا كان المراد يوم بدر اخذوا للحشر فكان الخروج من الخبور - 00:09:59
اخذوا للقذف في النار اذا كان في عرصات القيامة والنار بين ايديهم واخذوا اخذتهم الزبانية او اخذتهم الملائكة واخذوا من مكان قريب يقول ابن عباس رضي الله عنه من تحت اقدامهم - 00:10:21
لانه ليس هناك شيء قريب وبعيد عند الله جل وعلا القرب والبعد بالنسبة للمخلوقين وبالنسبة لمن يريد اخذ شخص ما قد يكون قريب منه وقد يكون بعيد. لكن بين يدي الله جل وعلا كلهم بين يديه. كلهم قريب - 00:10:46
واخذوا من مكان قريب. قال ابن عباس رضي الله عنهما من تحت اقدامهم واخذوا للالقاء في النار والنار قريبة منهم اخذوا عند الخروج من القبور وذلك قريب من منازلهم كما قال بعض المفسرين رحمهم الله - 00:11:12
اخذوا من مكان قريب اي انهم بين يدي الله جل وعلا في هذه الحال ماذا يقولون يجأرون الى الله جل وعلا يظهرون الايمان في حالات حالات كثيرة يرغبون في الايمان - 00:11:41
عند الاحتضار يرغبون في الايمان فيقال هيهات لانها اذا بلغت الروح الحلقوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل كما قال فرعون اللعين امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل. متى هذا؟ وهو في قعر البحر - 00:12:10
حينما رأى ملك الموت وقال الله جل وعلا له الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين الان ما ينفع يطلبون الايمان ويتمنونه عند الاحتضار فما يحصل يطلبون الرجعة الى الدنيا في عرصات القيامة - 00:12:36
لاجل ان يؤمنوا يقولون امنا في عرصات القيامة وعرصات القيامة لا ينفع فيها ايمان مستجد من مات على الايمان نفعه ذلك ومن مات على الكفر ثم امن في عرصات القيامة ما ينفعه - 00:13:03
يطلبون الايمان والرجعة الى الدنيا حينما تقبض عليهم الزبانية لتلقيهم في النار يطلبون الايمان والرجوع الى الدنيا وهم في نار جهنم

ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون. يعني لا نعود لمعصيتك - 00:13:22
والكفر بك وبرسلك وهم في النار لكن في هذه الاحوال كلها لا يطلب لا يستجاب لهم ولا يقبل منهم شيء وقالوا امنا به امنا به الظمير يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم - 00:13:44
وقيل الى القرآن وقيل الى الله جل وعلا امنا بالله او امنا بمحمد او امنا بالقرآن ولا منافاة بين هذه الثلاثة لانهم اذا امنوا بمحمد امنوا بالله لكن لا ينفعهم - 00:14:08
امنوا بالقرآن امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا بالله جل وعلا وقالوا امنا به. يقول الله جل وعلا وانا لهم التناغش انى لهم بعيد كل البعد ان ينالوا هذا - 00:14:23
التناوش محاولة الوصول الى شيء باليد وهو بعيد. لا يطالب كالمستلقي على ظهره ويرفع يده يحاول ان يأخذ من السقف شيئا حاول لكن وانا لهم التناوش بعيد الحصول الى ما يريدون - 00:14:47
هم يريدون ماذا الرجوع الى الدنيا يريدون ان تقبل توبتهم وهم في مكانهم هذا ما يحصل لان الله جل وعلا قال انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب. ثم قال جل وعلا وليست - 00:15:15
للذين يعملون السوء وليست حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار صنفان لا نصيب لهم في التوبة ولا حظ لهم في قبولها من من يتوب عند الاحتضار؟ ومن يموت كافرا يريد ان يتوب في عرصات القيامة؟ لا - 00:15:36
وانى لهم التناوش من مكان بعيد حالهم كحال من يريد تناوش شيء بعيد عنه. يتناول شيئا بعيدا عنه لا يستطيع الوصول اليه. كذلك في هذه الحال يتمنون الرجوع الى الدنيا - 00:16:04
يطلبون العودة الى الدنيا والعودة الى الدنيا محال يطلبون قبول توبتهم وقبول توبتهم محال وان لهم التناوش من مكان بعيد بعيد لهم كل البعد ان يدركوا ما طلبوا فحالهم كحال من يريد ان يتناوش شيئا بعيدا عنه لا يوصل - 00:16:30
قال الله جل وعلا هذا الشيء الذي يريدونه ويريدون ان يتناوشوه وفي التناوش قرائتان التناوش بالواو والتناقش بالهمز وكلاهما قرأتان سبعيتان ومعناهما متقارب هذا الذي يريدون تناوشه يريدون الوصول اليه - 00:17:02
ما كان مستحيلا في الاول قال الله جل وعلا وقد كفروا به من قبل وقد كفروا به من قبل طلب منهم وكرر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الايمان وطلب منهم ذلك - 00:17:35
وهو بين اظهرهم ثلاث عشرة سنة يطلب منهم ان يؤمنوا بالله وان يقولوا لا اله الا الله فابوا وقد كفروا به من قبل كفروا بما امنوا به الان امنوا به في عرصات القيامة قد كفروا به من قبل يعني في حال الدنيا - 00:17:57
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم. وكفروا بالقرآن وكفروا بالله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد يقذفون بالغيب حالهم كحال من يرمي احجارا من مكان بعيد لا يدري اين تقع فهم - 00:18:27
يلقون الكلمات التي هي بعيدة كل البعد عن الصواب يقذفون بالغيب يقولون كلاما يرمون به النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن على غير اساس وغير مبني على حجة او دليل - 00:19:02
او علم واضح بل حالهم كحال من يرمي الاحجار في مكان بعيد لا يدري اين تقع الذي يرمي لغرض يرمي على غرظ معين مثلا يشاهده ويراه قد يصيبه لكن الذي يقذف على غير - 00:19:39
اتجاه على غير جهة يريد الاصابة فيها هذا احجاره تذهب في الهواء وهذه حالهم. يقولون محمد صلى الله عليه وسلم كاهن يقولون محمد ساحر يقولون محمد شاعر يلقون كلمات على غير مستند - 00:20:07
وعلى غير اساس ويتناقضون فيها الشاعر غير الساحر والكاهن غير الشاعر والساحر وهكذا يلقون كلمات قد تكون متناقضة. اليوم يصفونه بكذا وغدا يصفونه بكذا ويقذفون بالغيب من مكان بعيد فقد كانوا في حق النبي صلى الله عليه وسلم - 00:20:37
لا يتورعون ولا يتثبتون ولا يتوقفون عن وصفه بالصفات الذميمة السيئة لا يتحاشون مثلهم الله جل وعلا بحال من يرمي الحجارة من مكان بعيد لا يدري في اين تقع؟ ولا ماذا تصيب - 00:21:11

ويقذفون هذه القراءة المشهورة وقراءة اخرى سبعية كذلك ويقذفون يقذفون وهذه تبين حالهم في نادي جهنم انهم يرمون رميا بعيدا كمن يرمي شيئا لا يؤبه له ولا يهتم له يلقيه بغير مبالاة - 00:21:44

والمعنى الاول هو الذي عليه كثير من المفسرين رحمهم الله وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل بينهم وبينما يشتهون على المعاني السابقة حيل بينهم وبين ما يشتهون اذا كان المقصود حال الاحتضار وحال القتل بسيوف الملائكة - 00:22:23

يتمنون البقاء في الدنيا حتى يتوبوا في حال في عرصات القيامة يتمنون الرجوع الى الدنيا في حال الالقاء في النار او بعد الالقاء في النار يتمنون الرجوع الى الدنيا في حالة الاحتضار - 00:22:56

يتمنون البقاء بين اهليهم وذويهم وما متعوا به من خدم ومآكل ومشارب وملذات الدنيا قيل بينهم وبين ما يشتهون الفاجر والكافر قد يؤخذ على غرة وهو في حالة حسنة في احسن عيش وارغده - 00:23:27

لاجل ان يكون تكون عقوبتهم اشد لان المرء اذا كان في نكد من العيش قد يتمنى الموت والمؤمن لا يجوز له ان يتمنى الموت على اي حال كان وانما يقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان لابد متمنيا ان يقول اللهم احي لي ما علمت الحياة خيرا لي - 00:24:04

ووفني ما علمت الوفاة خيرا لي واما الفاجر وغير المؤمن باليوم الاخر قد يتمنى الموت اذا كان في شدة وبؤس وشقاء لكن اذا كان في حالة رخا ونعم متوفرة وخيرات وصحة وامان وخدم - 00:24:34

واعوان واصحاب يكون يتمنى ويشتهي البقاء فيما هو فيه من النعيم لكن حيل بينه وبين ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون يعني البقاء في ملذاتهم في الدنيا او حيل بينهم وبين ما يشتهون - 00:24:57

الذي هو الرجوع الى الدنيا او حيل بينهم وبين ما يشتهون الذي هو قبول توبتهم في حالة رجاهم من الله جل وعلا ان يقبل توبتهم تأخذهم الزبانية وتلقيهم في النار - 00:25:22

بينهم وبين ما يشتهون قال الله جل وعلا كما فعل باشياعهم من قبل يعني هذا الفعل فعل بمن قبلهم من الامم الكافرة الظالمة هذه سنة الله في خلقه وهذه الافعال - 00:25:41

المتكررة بلفظ الماظي هي للمستقبل ولكن لتحقق وقوعه لان حيث جاءت بلفظ الماضي والماظي لشيء مظى والمستقبل للشيء المتطقع الاتي بعد وهذه للشيء المستقبل لانه لم يكن هذا حال نزول الايات هذه وهم اصحاء اشحاء بين اهليهم وذويهم - 00:26:05

قال الله وحيل بينهم وبين ما يشتهون. اي ان هذا حاصل لا محالة واقع لا محالة حين نزول هذه الايات وهم بين اظهر اهليهم وذويهم والله جل وعلا يخبر عن المستقبل - 00:26:39

بالفعل الماضي حيث انه واقع ولابد يصور لهم حالهم فيما يأتي لعلهم ان يرعوا لعلهم ان يرجعوا. لعلهم ان يتوبوا. فحال نزول هذه الايات يمكنهم التوبة لو تابوا يمكنهم الايمان لو امنوا - 00:27:01

يمكنهم التصديق لو صدقوا لكنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم اشياعهم جمع شيعهم شيعهم اجمع على اشياعهم وشيعهم جمع شيعة اشياعهم جمع للجمع - 00:27:26

والمراد بالاشياع النظراء والاعوان والامثال والاشباه يقال هؤلاء شيعة فلان اي اتباعه واعوانه او امثاله او نظراؤه ونحو ذلك كما فعل باشياعهم من قبل الذين هم مثلهم وعلى طريقتهم انهم كانوا في شك مريب - 00:28:03

كانوا في شك من صدق النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في شك من وقوع البعث كانوا في شك من الحساب والعذاب ولهذا قال بعض السلف رحمهم الله ليحذر المرء - 00:28:40

الشك فيما يستقبل مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم خشية ان يهلك لانه اذا شك في وقوع الحساب او شك في وقوع البعث او شك في وجود الجنة والنار هلك - 00:29:01

وكفر والله جل وعلا اخبر عن هؤلاء الكفار بانهم في شك من اليوم الاخر شك مريب امر من الامور لكن اذا اكده له من يثق به تأكد عنده وزال الشك - 00:29:26

المرء مثلا او الامام مثلا يشك هل صلى ثلاث ركعات او ركعتين فاذا اكد له الجماعة احد الامرين زال الشك عنه لكن هؤلاء الكفار لا شكهم متوغل لا يمكن ان يزول - 00:29:50

شك مريب الشك متمكن فيه موجد في الريبة لا يرجى زواله لا يرجى حصول اليقين بعد هذا الشك فلذا هلكوا انهم كانوا وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل - 00:30:14

انهم كانوا في شك مريب. والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:30:48